نص مخطوط للمناضل المثقّف الطاهر صفر

لمّا دعاني رئيس هذه الجمعيّة المفضل السيّد محمد علي العنّابي(1) إلى المشاركة في أعمال هذا المشروع الجليل، وذكر لي أن جمعيّة قدماء الصّادقيّة ستستعيد نشاطها وتستأنف من جديد سلسلة أعمالها، كنت أوّل من اختلج فؤاده بهذا النبأ الطيّب، وأكبرت هذا المجهود العظيم الذي له قيمة في مثل هذه الأوقات العسيرة التي نجتازها. فكان لهذا الخبر وقع في نفسي، كيف لا وإنّي من الذين كانت لهم علاقة مع هذه الجمعيّة منذ حداثتهم ولي ذكريات جميلة وأحلام، وتربطني بها علاقات متينة. وإنّي أعتبر هذا المشروع من أنفع المشاريع الوطنيّة وأجزلها فائدة، فيه الرابطة بين القدماء المعهد الصادقي تجمعهم في عائلة واحدة، وتربط بينهم بروابط الود والإخاء، وهي المثقفة للشعب ترمي إلى تنويره بنور العلم الحديث وضوء العرفان. وهي المتممّة لمعلومات أفراد الطبقة المستنيرة، تتمّم لهم ثقافتهم، وتجهّزهم بالجهاز العقلي الطيّب وتبلّغهم أمانيهم. وإنّ جميع هذه الأعمال قد قامت بها الجمعيّة في الماضي منذ تأسيسها. أجل إنّها في بعض الأحيان غلّبت بعض الغايات على بعض، وعنيت ببعض الشؤون بدلا من بعض. فترة صرفت همّتها إلى تثقيف الشعب قبل كل شيء، وجعلت هذه الغاية من أهم شؤونها، ونظّمت المسامرات والمحاضرات العلميّة في كلّ حارة من حارات تونس، واتخذت لنشر العلوم الطبيعيّة بين سائر طبقات السكان "الفانوس السحري". وكان لهذا العمل الجليل أثر من أعظم الآثار في النفوس، وكان من أكبر الدواعي لإقبال التونسيين على هذا المشروع والتنويه به والإشادة بذكره. وفي زمن آخر رأى رجال هذه الجمعيّة قبل كل شيء وجوب

الاعتناء بالطبقة المتنورة لتستكمل معلوماتها وتنجح في خضم هذه الحياة الصعبة المليئة بالعقبات. فنظموا الدروس الخاصة لتحضير الباكالوريا وغيرها من الشهادات، وأصدروا نشريّة سنويّة جمعت فصولا ممتعة باللغة العربيّة. فكانت النتيجة نجاح كثير من الطلبة في امتحانات مختلفة من الذين لم يكونوا قادرين على إتمام دراستهم بالمعاهد المدرسيّة، لاضطرارهم إلى الارتزاق بالوظيف أو بغيره، فسهلت عليهم الجمعيّة نيل مبتغاهم، وقوبلت بشكرهم وامتنانهم. وطورا رأت الجمعيّة أن تعنى بشؤون النشء من تلاميذ المعاهد الثانويّة... فأسّست "جمعيّة الناشئة الأدبيّة" (بالمهديّة)[2] وغيرها من المشاريع الخاصة بالشبان. وقد سهّلت لهم طرق الاجتماع مع بعضهم بعضا، أو مع من هم أكبر منهم سنّا، ومكّنتهم من الاستفادة بطرق المواضيع المختلفة ومداولة البحث المنتج والنقاش المفيد. وقد استمر هذا النشاط مدة طويلة، وها هي اليوم بفضل رئيسها الأستاذ محمد علي العنّابي وأعضاء مجلسها تستأنف نشاطها بشكل جديد وطريقة مبتكرة وذلك بتأسيس نوادي الاختصاص لطرق المواضيع المختلفة سواء منها الفلسفيّة والأدبيّة أو العلميّة والاقتصاديّة[3]، وذلك مع المحافظة على التراث القديم، ونشر العلم والمعرفة، وتثقيف الشعب بواسطة المحاضرات والدروس. وبذلك تكون هذه الجمعيّة، بعد الفترة التي عطّلت فيها أعمالها بحكم الظروف، قد استفادت من تجاربها السابقة وأضافت إليها ما يقتضيه زمانها الحاضر من لزوم تكثيف الأعمال والنشاط، ووجوب تشكيل تلك الأعمال بشكل جديد مناسب. وتكون أيضا قد أحدثت توازنا بين أعمالها وتناسقا بين مجهوداتها، حتّى لا تفضّل غاية على غاية، وتضحّي بموضوع في سبيل موضوع آخر، بل تتمّ الفوائد بأجمعها وتتحقق الغايات بأكملها في آن واحد.

وقد كان نصيبي من هذا العمل العظيم، وهذا البرنامج الضخم، النـادي الاقتصادي. وإنّي لست أرى في نفسي مـن الكفـاءة مـا يـؤهلني لهـذا الأمر، ولو لا يقيني بأني سأجد من المساعدين من هم أكثر منّي كفاءة وأعظم مقدرة لما قبلت. لأنّ العبرة في مثل هذه المسألة لا تتمثل في من هو الرئيس، ومن هم الأعضاء. فكم من ناد أو مجمع ترى من بين أعضائه من هم أعظم كفاءة وأكثر نشاطا من الرئيس الذي تـمّ تعيينـه في أوّل الأمـر. وإنّمـا هـي الخطـوة الأولـى الـتي يجتازهـا المشـروع كالسفينة التي تندفع في الماء. ويجب كطلـك اعتبـار أنّ هـذه الأعمـال تظهر نتائجها بالتكاتف والتعاضد وضمّ الجهود بعضها إلـى بعـض. والله سبحانه المسؤول لتحقيق النجاح.

الهوامش

1) تولّى المرحوم محمد علي العنّابي (1906 – 1962) رئاسة جمعيّة قدماء الصادقيّة من سنة 1934 إلى سنة 1944

2) أنشئت "جمعيّة الناشئة الأدبيّة" في المهديّة سنة 1922

3) لقـد سـعى محمـد علـي العنّـابي منـذ انتخـابه علـى رأس جمعيّـة قـدماء الصادقيّة إلى تكثيف نشاطها من خلا نوادي الاختصاص التي ارتفع عددها إلى أربعة، وهي

- النادي الأدبي برئاسة المناضل الطّاهر صفر
- نادي البحوث الفلسفيّة برئاسة رئيس الجمعيّة ذاته

- نادي البحوث التشريعيّة والقانونية برئاسة الأستاذ الهاشمي السبعي